أميركا تمدّ يدها للأحزاب اليمينية في أوروبا

بقلم: كونراد شولر

خلال ثلاثة أيام، شهدنا حدثين يحملان في طيّاتهما الكثير من الدلالات. ففي الثالث من حزيران نشر موقع "بريتبارت لندن" الإخباري التابع لليمين المتطرف، حوارا صحافيا مع السفير الأميركي الجديد في برلين، ريتشارد غرينيل. وقد كانت رسالة غرينيل واضحة، حيث يريد بكل صراحة وصول المزيد من القوى المحافظة للسلطة في أوروبا، وصعود قيادات جديدة.

في تغريدة له، أضاف غرينيل لاحقا: "في كل مكان يمكنكم مشاهدة صحوة الأغلبية الصامتة، هؤلاء هم الناس الذين تصدّوا للنخب ولوعودهم الفارغة".

وبالطبع، إن زعيم هذا التيار ليس سوى الرئيس الأميركي الجديد دونالد ترامب. وفي السادس من حزيران، جاء الحدث الثاني، عندما وقفت أنجيلا ميركل أمام البرلمان الألماني لتلقي أسئلة النواب. وقد توجه إليها إنريكو كومنينغ عن حزب البديل من أجل ألمانيا بالقول: "سيدتي المستشارة، ما معنى أن تتحدثي إلى ترامب، في قمة الدول السبع خلال نهاية الأسبوع، وأنت رفقة كل أعضاء حكومتك الفيدرالية تواصلون تشويه صورة الرئيس الأميركي ومهاجمته عبر كل القنوات الإعلامية؟".

يبدو أن الولايات المتحدة تمدّ يدها لليمين الجديد في أوروبا، الذي يتقرب بدوره من الولايات المتحدة.

وللوهلة الأولى، قد لا تبدو هناك دلائل تشير إلى أن هذين الحدثين مرتبطان ببعضهما البعض، ولكن عند البحث في التفاصيل، تصبح المسألة أكثر وضوحا. فقد خضع موقع "بريتبارت نيوز" الذي تحدث إليه السفير غرينيل، خضع لتأثير كبير من ستيف بانون، الذي يوصف بأنه أكثر مستشار أثّر على سياسات دونالد ترامب إلى حدود سنة ٢٠١٧، ولا يزال إلى حد الآن يعتبر واحدا من أكبر منظّري حركات اليمين الشعبوي في العالم. وفي الوقت الراهن، يُجري بانون اتصالات مباشرة مع حزب البديل من أجل ألمانيا.

علاقات سياسية وشخصية

في آذار الماضي، التقى بانون بعدد من نواب حزب البديل من أجل ألمانيا في مدينة زيورخ. وفي حوار أجراه مع صحيفة "تسايت" الألمانية، وُصفت كل من زعيمة الكتلة البرلمانية أليس فايدل، والنائبة بياتريكس فون شتورش، بأنهما تتميزان بشخصية رائعة، وذكيّتان وتُحسنان التعبير.

في المقابل، لا تقتصر العلاقات بين هذا الحزب الألماني ومنظّري اليمين الأميركي على المستوى الشخصي، بل إن هناك تشابها أيضا في الطرح السياسي.

فمن جانبه، يُعتبر بانون مهندس الحروب التجارية التي يقودها ترامب في الوقت الراهن. وخلال الأيام الماضية، تعالت أصوات من حزب البديل تدافع بشكل واضح عن موقف الرئيس الأميركي في صراعه الحالي حول التعريفات الجمركية مع الاتحاد الأوروبي.

في شأن ذي صلة، طرح النائب عن حزب البديل من أجل ألمانيا، كاي غوتشتولك موقف الداعم لترامب بكل جرأة.

فقد حذر غوتشتولك الاتحاد الأوروبي من رد الفعل تجاه التعريفات الحمائية الجديدة التي فرضها ترامب، ودعا إلى عدم إقرار إجراءات مضادة لتلك التي أقرها ترامب لحماية قطاعي الصلب والألمنيوم.

وبحسب رأي غوتشتولك، يجب على الاتحاد الأوروبي قبل ذلك "التفكير في خطيئته"، لأنه بحسب تقارير منظمة التجارة الدولية ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، تعتبر أوروبا أكثر حمائية من الولايات المتحدة الأميركية.

لذلك، يجب على أوروبا هذه المرة التصرف بتواضع والسكوت إزاء الإجراءات الأميركية. علاوة على ذلك، ذهب هذا النائب بعيدا في موقفه، حين دعا الاتحاد الأوروبي، عوضاً عن الرد بقوة على الخطوة الأميركية، إلى تخفيض رسومه المفروضة على استيراد السيارات الأميركية من ١٠ إلى ٢,٥ بالمائة.

حجج غريبة

تطرقت بقية قيادات حزب البديل من أجل ألمانيا لهذا الموضوع من وجهات نظر مختلفة حيث قال نائب رئيس الحزب، ألكساندر غاولاند، إنه "على أوروبا الحذر من مغبة الانجرار وراء اتخاذ الإجراءات المضادة". أما جورج بازديرسكي، وهو أحد نواب الحزب، فقد تساءل قائلا: "أليس ترامب بكل بساطة منطقيا في قراره بالنظر إلى الأخطاء التي ارتكبتها في أوروبا؟".

أضاف بازديرسكي قائلا: إن "الاتحاد الأوروبي يعد الخاسر الأكبر في هذه المعركة في المقابل، يجب علينا ألا نقدم أنفسنا في ثوب الضحية ونتخذ إجراءات انتقامية، إلا في حال كنا نحن خالين من الأخطاء".

أما بياتريكس فون شتورش، فقد وصفت الانتقادات الأوروبية لواشنطن بأنها "نفاق"، ونصحت هي بدورها بالدخول في مفاوضات من أجل التخفيض من التعريفات من كلا الجانبين.

كانت هذه الحجج تعتبر مقبولة لو أن حزب البديل من أجل ألمانيا لم يتمسك في السنوات الأخيرة بموقفه المعارض لاتفاقية الشراكة المالية والاستثمارية العابرة للأطلسي، ولم يسخّر كل طاقته لتقويض آليات وأطر الحلول التفاوضية التي بات الآن ينادي بها.

فقد كانت هذه الاتفاقية التجارية بين ضفتي الأطلسي، ستحل العديد من المشاكل التي ظهرت بين واشنطن وأوروبا، وبات البت فيها أمرا مستعصيا.

من بين المشاكل التي وقع طرحها، وحسب القوانين السائدة في منظمة التجارة العالمية، حقيقة أن الاتحاد الأوروبي يمكنه تخفيض الحواجز الجمركية على التجارة مع الولايات المتحدة في حالة واحدة، ألا وهي إبرام اتفاق تجارة ثنائي.

وفي حال اتخاذ أوروبا لخطوة أحادية من هذا النوع دون وجود اتفاق، ستصبح الإجراءات والقواعد الجديدة سارية أيضا بالنسبة لبقية المنافسين مثل الصين والهند والبرازيل وكوريا الجنوبية واليابان، دون أن تضطر هذه البلدان بدورها لفتح أسواقها أمام أوروبا.

تقريب الفكر القومي من جمهور الشباب

من الواضح أن اتفاقية الشراكة المالية والاستثمارية العابرة للأطلسي، التي فشل الطرفان في إتمامها، كانت ستساعد كثيرا في التعاطي بشكل أفضل مع الوضع الحالي. فعلى سبيل المثال، كانت هذه الاتفاقية لتلغي بشكل كامل الرسوم على تصدير السيارات من كلا الجانبين، وذلك من خلال توقيع بسيط، إلا أن حزب البديل من أجل ألمانيا وقف حائلا أمام إتمام هذا الاتفاق.

من جانبه، وصف ألكسندر غاولاند، مشروع الاتفاقية بأنه "غير ديمقراطي وغير شفاف". أما جورج بازديرسكي فقد وصفه بأنه "مقترح مرفوض وغير محبذ من قبل كل الأحزاب".

وبالتوازي مع هذه المواقف، أظهر ترامب والتيار المساند له في الولايات المتحدة نفورا من إبرام اتفاقات تجارية أيا كان نوعها.

من الواضح أن هذا "التعاون الصامت" بين الشعبويين في أوروبا وإدارة ترامب لا يزال متواصلا حتى اليوم، في حين أن رجل الظل ذاته لا يزال يعمل في الخلفية، ألا وهو ستيف بانون. على الرغم من أن بانون، الذي أشرف على موقع "بريتبارت" الإخباري لوقت طويل، خسر منصب مستشار الأمن القومي لدى الرئيس ترامب خلال السنة الماضية، ولكن ذلك لم يحل دون مواصلته التحرك ضمن شبكة علاقاته في القارة الأوروبية.

في برلين، يعول بانون على علاقته مع قيادات حزب البديل من أجل ألمانيا، على غرار أليس فايدل وبياتريكس فون شتورش. وقد ذكر بانون في إحدى المناسبات أنه عندما ينظر إلى هاتين السيدتين، "يشعر بأنهما بمرور الوقت ستكونان قادرتين على جذب الطبقة الوسطى وتقريب الفكر الشعبوي والقومي من جمهور الناخبين الشبان".

لم يذهب هذا الإطراء الذي قدمه بانون لهاتين السيدتين سدى. فقد كشفت أليس فايدل مؤخرا عن لقاء جمعها ببانون للحديث حول الإعلام البديل والعلاقة بين الولايات المتحدة وأوروبا.

وقد أكدت فايدل أن انطباعها حول محاورها كان إيجابيا جدا، مشيرة إلى أنها تعتبره شخصا مثقفا جدا ويتمتع بقدرة هائلة على تحليل مختلف المواقف، في حين أنه شخص يمكن أن نتعلم منه الكثير. ولكن ما الذي يمكن تعلمه من بانون؟

يتمثل أول درس يمكن تعلمه من بانون في سبل بناء شبكة نفوذ ودعاية عالمية لا أحد يمكنه الوقوف في وجهها.

وللقيام بذلك، يمكن الاكتفاء بإمعان النظر فيما فعله بانون انطلاقا من موقع "بريتبارت"، على الرغم من أنه لم يعد المدير الفعلي لهذا الموقع. ولم يتوان بانون عن مساعدة اليمين القومي في أوروبا، وتوجيههم فيما يتعلق بطرق مهاجمة الطبقة الحاكمة. وقد بات من الجلي أنه حيثما وجد شرخ في صلب القارة العجوز، سنجد من دون شك بانون حاضرا.

عندما ظهر بانون في آذار الماضي خلال حدث نظمه حزب الجبهة الوطنية الفرنسي تحدث إلى الجماهير قائلا إن "الاتهامات من قبيل "عنصري ومعادي للأجانب" وغيرها، يجب ألا ترهبهم. وأضاف بانون: "بل يجب أن تعتبروا هذه الاتهامات بمثابة ميداليات تفتخرون بوضعها".

وفي زيورخ السويسرية، أطنب بانون في مدح كريستوف بلوخر، أحد القياديين في حزب الشعب السويسري القومي. أما في بودابست المجرية، فقد وصف بانون رئيس الوزراء فيكتور أوربان على أنه نسخة من ترامب.

ستيف بانون.

في بريطانيا أيضا، أقام ستيف بانون شبكة علاقات مكثفة في وقت مبكر. وقد قدم موقعه الإخباري دعما كبيرا لحملة الخروج من الاتحاد الأوروبي في تلك الفترة. في الوقت الذي صوت فيه الناخبون البريطانيون بنعم في إطار الاستفتاء لمغادرة الاتحاد الأوروبي في حزيران ٢٠١٦، استضاف هذا الموقع نايجل فاراج، الذي كان من أشرس المحرضين على فكرة الخروج من الاتحاد، وقدمه في برنامجه الإذاعي اليومي وفسح له المجال لتوجيه رسائل قوية. في الأثناء، صرح فاراج، أن "مشروع الوحدة الأوروبية فشل، وهذا هو مصيره. وأنا أعلن اليوم هذا الأمر بكل سعادة"، فيما عقب بانون قائلا: "هذا إنجاز عظيم وأنا أهنئكم".

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن ستيف بانون، بعد ظهور نتائج الانتخابات، حث سالفيني وبقية قيادات رابطة الشمال في ميلانو على الانضمام لحركة النجوم الخمسة وزعيمها لويجي دي مايو.

كانت المهمة الكبرى الأخيرة التي تنتظر بانون، حملته في إيطاليا. فقد أوجد مسبقا أسس تحالف خطير يجمع حزب رابطة الشمال الذي يقوده ماتيو سالفيني، وحركة النجوم الخمسة التي تمثل اليمين الشعبوي بقيادة لويجي دي مايو.

في الواقع، تمكن هذان الحزبان من الفوز بالأغلبية في الانتخابات البرلمانية في آذار الماضي، وعندما نجحا في تكوين تحالف حكومي في أيار، اعتبر الأميركيون أن الفضل في هذا النجاح يعزى إليهم ولا أحد غيرهم.

في هذا السياق، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن ستيف بانون، بعد ظهور نتائج الانتخابات، حث سالفيني وبقية قيادات رابطة الشمال في ميلانو على الانضمام لحركة النجوم الخمسة وزعيمها لويجي دي مايو. وفي هذا الصدد، توجه إليهم بانون قائلا: "أنتم أول من نجح في كسر التصنيفات السياسية التقليدية بين اليمين واليسار، يمكنكم أن تظهروا للناس أن الشعبوية تجسد المبدأ الجديد الذي تدور حوله الحياة السياسية".

تشكيل يجمع كل الشعبويين الأوروبيين

الآن، حان دور ألمانيا. فعلى الرغم من أن بانون لم يعد مدير "بريتبارت"، إلا أن السفير الأميركي الجديد في برلين يستخدم هذا الموقع لمغازلة من يسميهم "المحافظين الآخرين"، وانتقاد أيديولوجيا "الحدود المفتوحة" التي يتبناها اليسار.

أما أليس فايدل وبياتريكس فون شتورش، القياديتان في حزب البديل من أجل ألمانيا، اللتان حظيتا بإطراء وثناء كبير من قبل بانون، فإنهما تعتبرانه صديقا لهما. وقد ذهبت فون شتورش أبعد من ذلك، حيث قالت إنه منذ وصول دونالد ترامب للبيت الأبيض، بات حزب البديل من أجل ألمانيا نظريا الحزب الوحيد "الذي يعد ممثلا في البرلمان وعابراً للمحيط الأطلسي".

في الوقت الراهن، بات من الواضح أن هذا الحزب مستعد للقيام بالخطوة المقبلة، فعلى الرغم من أن ألكسندر غاولاند لم يلتق أبدا بالسفير ريتشارد غرينيل، إلا أن نائبه كاي غوتشتولك عبر عن سعادته حيال عرض السفير حول دعم المحافظين الجدد في أوروبا. وقد أفاد غوتشتولك من مكتبه في البرلمان، قائلا: "أرحب بالعرض الأميركي للعمل معا في إطار المعركة ضد اليسار الاشتراكي في الاتحاد الأوروبي".

يبدو أن التقرب من ستيف بانون، الرجل الذي يسعى إلى خلق تشكيل يجمع كل الشعبويين الأوروبيين، هو الهدف المقبل لغوتشتولك، الذي صرّح بدوره قائلا: "يعد بانون بمثابة توأم روحي من الناحية السياسية، حيث تجمعنا العديد من القواسم المشتركة. وفي الواقع، يمكننا أن نتعلم الكثير من أمثاله، وأنا شخصيا أتمنى لقاء بانون".

عن "فرانكفورتر ألغيماينه تسايتونغ"

هل حقاً تقترب إيران وإسرائيل من الحرب؟

بقلم: نجاح عبدالله سليمان*

بداية، فإن واقع ما تخفيه السياسة من دهاء ظهر عقب الانسحاب الأميركي من الاتفاق النووي مع إيران. فأكثر ما يهم الأوروبيين هو خفض احتمالات وقوع حروب في الشرق الأوسط. ومن هنا لم تتقبل الأطراف الموقعة على خطة العمل المشتركة، المعنية بإلزام إيران تخفيض نشاطاتها النووية، إعلان ترامب، فالتعليقات التي أعقبت القرار الأميركي توالت من الأطراف كافة الموقعة على الاتفاق عبرت عن الأسف إزاء هذه الخطوة «غير المبررة». كذلك فالحث الإسرائيلي على إلغاء الاتفاق النووي مع إيران جاء في سياق التخوفات المتراكمة جراء السياسة الإيرانية المسلحة العابرة الحدود، لا الخروج باتفاق يقضي على الطموحات النووية الإيرانية فقط.

سبق أن أعربت إسرائيل عن نيات جديدة لا تقتصر على امتلاك السلاح النووي من دون غيرها في المنطقة، ذلك أن السياسة الإيرانية، خصوصاً في سورية، غدت أكثر حساسية من احتمال امتلاك إيران سلاحاً نووياً بعد ٢٠٢٥، وهو الموعد الذي تتوقف معه خطة العمل المشتركة الضابطة لسلوك طهران، ومن ثم حفز استقوائها بحلفائها الذين باتوا في مواقع أكثر نفوذاً وقوة من قبل، في لبنان والعراق، إلى شعور إسرائيل بخطورة هذا الامتداد الذي قد يربط المصالح الإيرانية بالبحر المتوسط مباشرة. وهذا سيسمح لإيران ليس فقط بالوصول إلى السوق الأوروبية بسهولة، ولكن سيمس المصلحة الإسرائيلية في ضبط إيقاع التحكم في القوة في الجوار.

الواقع أن التعقيدات السياسية والعسكرية في سورية تُظهِر حدوث تشابك مستمر للمصالح الدولية في الصراع السوري، وتقف إيران وإسرائيل على مقربة من اشتباك أكثر عنفاً، حيث تبدو الساحة السورية مسرحاً محتملاً لصراع من هذا النوع، وبالنظر إلى الوجود الروسي في سورية فإن التفكير في خيارات التحرك العسكري في الساحة السورية ليس بالأمر السهل. فلقد أثبت التحالف الروسي- الإيراني أنه قادر على إنقاذ حليفه في سورية، حيث أضافت التفاهمات بين روسيا وإيران بعداً خاصاً في موضوع العلاقة التكاملية بين إيران في الأرض وروسيا في السماء، إلا أن هذا لا يعني تحالفاً إيجابياً ومقبولاً بشدة من قبل الطرفين. وهنا يأتي إعلان روسيا وإسرائيل وجود تنسيق مستمر بين الجيشين الروسي والإسرائيلي في وقت تشن إسرائيل ضربات على مواقع إيرانية وأخرى تابعة لنظام بشار. فاللقاءات الإسرائيلية- الروسية تضمنت مناقشات واسعة حول ضرورة استمرار التنسيق العسكري، وبدا ذلك في لقاء رئيس الوزراء الإسرائيلي الرئيس الروسي في موسكو، في ٩ أيار الماضي. هذا التنسيق قد يعني قبول روسيا بهذه الضربات المحدودة التي تضعف إيران قليلاً وتردعها، في إطار التوازن الذي تقبل به روسيا وإسرائيل في سورية.

قد تعلم روسيا أن الدور الإيراني يجب أن يظل محدوداً في سورية، كما تدرك القلق الإسرائيلي الشديد حيال التوسع العسكري لإيران في سورية، ويجب على روسيا أن تمنع المواجهة الإسرائيلية- الإيرانية التي ستضر بمصالحها قبل أي طرف آخر، ويمكن لروسيا أن تمارس دوراً تفاوضياً بين إسرائيل وإيران في سورية من دون الميل إلى أي طرف، كما أن روسيا ستعلم بأي ضربة عسكرية في سورية من قبل الإسرائيليين، إذا أرادت إسرائيل أن تحافظ روسيا على تأطير السلوك الإيراني في سورية. فكل السلوكيات الإسرائيلية العسكرية ضد إيران قد لا تحمل نية لتوسيع نطاق المواجهة إلى حرب مباشرة، والاحتمالات التي تنطوي على الجهود الديبلوماسية نحو إقرار صيغة تقلص من وجود إيران في سورية ودعمها لحليفها في لبنان (حزب الله) قد تزداد صعوبة بعد قرار ترامب إلغاء الاتفاق النووي.

يمكن رصد أكثر الاحتمالات المتوقع حدوثها بين إسرائيل وإيران، ومنها سيناريو الضربات المحدودة، حيث يبقى التصعيد محتملاً إلى حد كبير -من دون أن يكون حتمياً- بين إسرائيل وإيران في سورية، فمن المتوقع أن تصر إسرائيل على إبقاء الإيرانيين في حدود عمل متفق عليها مع روسيا، ومثل هذا الاتفاق ينبغي أن يحدث مع استمرار ضرب المواقع الإيرانية بين فينة وأخرى، فمن جهة تفضل روسيا مثل هذا الشكل من المواجهة الذي يضعف من النفوذ القوي على الأرض، ومن جهة ثانية تحافظ موسكو على موقعها من دون الدخول في حرب مباشرة، وإخفاق إيران إلى الحد الذي يتركها وحيدة، وهذا السيناريو هو المرجح.

الحقيقة أنه لسنوات مضت ارتفع سقف التوقعات بضرب إيران. سيناريو تكرر كثيراً كلما واجه البلدان (أميركا وإسرائيل) مشاكل داخلية. في حين نجد علاقة إيران كدولة حديثة مع أميركا أكبر من علاقتها بجيرانها. كذلك فالتعاون العسكري الإيراني- الإسرائيلي مستمر منذ عهد الشاه، فعندما كان الجيش المصري يتحرك لتحرير سيناء كانت الدبابات والآليات العسكرية الإسرائيلية تتحرك بوقود إيراني. وعلى رغم الحصار والعقوبات على مبيعات السلاح لإيران تعتبر إسرائيل المزود الرئيسي لإيران بالسلاح.

لقد وجه ترامب انتقاده لبنود الاتفاق -المعيبة كما وصفها- لأنها لم تشمل اتفاقاً في شأن الصواريخ الباليستية الإيرانية، وكذلك سياسة إيران في المنطقة؛ المتمثلة في دعم الجماعات المسلحة، وهذا يعني أن إلغاء الاتفاق جاء للضغط من أجل أن تغير إيران من سياستها في المنطقة، ومن ثم فإن العقوبات الاقتصادية قد تعمل على إرباك السياسة الداخلية لإيران، وهو ما سينتج تراجعاً في قدرات إيران المالية والعسكرية، لكن تعويل ترامب، وكذلك إسرائيل، على نتائج الاتفاق النووي يحتمل أن تكون غير مجدية في حال لم تتجاوب الدول الموقعة على الاتفاق مع التوجهات الأميركية، خصوصاً الصين وروسيا، ووفقاً لأهمية العلاقات الروسية- الإيرانية ستحاول روسيا التحايل على الإجراءات الأميركية في حال شعرت بأن هناك دوراً أميركياً وإسرائيلياً يمكن أن يقوض جهودها في سورية.

الواقع أن سيناريو الاتجاه نحو الحرب المباشرة ضعيف، حيث تدرك كل من إسرائيل وإيران خطورة الدخول في حرب مباشرة، لا سيما أن المحيط المجاور لكل من الدولتين يدفعهما إلى الانكفاء عن خيار حرب واسعة، وقد يكون التكهن باتخاذ إسرائيل قرار المواجهة والبدء بالتحرك في شكل مباشر ضد إيران صعباً، لكنه وارد في حال وصول إيران إلى نقطة تمركز عسكرية بحرية على البحر المتوسط عبر الساحل السوري، فمثل هذه الحالة ستكون ناقوس خطر يهدد إسرائيل التي باتت محاطة بقوات إيرانية أو تابعة لإيران في سورية ولبنان، ومن ثم من المتوقع أن تخاطر إسرائيل بضرب المصالح الإيرانية وتعطيل جميع المنشآت العسكرية داخل سورية، وهذا الخيار ربما يؤذن بحرب مباشرة بين البلدين. كذلك في حال قاربت إيران امتلاك سلاح نووي في السنوات المقبلة فإن إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي، وهذا سيقود إلى احتمال توجيه ضربات استباقية تدمر القدرات النووية والصاروخية الإيرانية، ومثل هذا الإجراء يطاوله كثير من الغموض حيال إمكان حصول إيران على سلاح نووي قبل أن تخسر الكثير من إمكاناتها جراء العقوبات الاقتصادية، وعدم تحمل الشعب الإيراني لظروف التضييق الاقتصادي، حينها قد لا تستطيع إيران الحصول على السلاح النووي.

فهل بات الصراع بين إسرائيل وإيران مرتبطاً بديناميكيات الاتفاق النووي؟ وما أشكال التشابك المتوقعة في حال عادت إسرائيل لضرب مواقع عسكرية في سورية؟ يبقى كل هذا رهن توافق إيراني- إسرائيلي، يكون ضحيته في المقدمة (عرب).

عن "الحياة" اللندنية

* كاتبة مصرية.

القوى الإقليمية تراهن على إحراق ما تبقى من العراق!

بقلم: مشرق عباس

ليس جوهر القضية أن مستودعاً كبيراً يضم أجهزة وصناديق الاقتراع العراقي قد تم إحراقه بفعل فاعل، وأن الفاعل لديه أسباب كافية لخوض مثل هذه المجازفة، كأن يكون متورطاً في التزوير، أو راغباً بالمزيد من خلط الأوراق، بل إن جوهرها أن القوى الإقليمية ما زالت ترى أن بإمكانها استخدام ورقة التهديد بإحراق ما تبقى من العراق.

في العام ٢٠٠٩، وقف الفاعل الإقليمي على تلة الحرب الأهلية وقال: «إنها حرب مذهبية غير مكتملة». وفي العام ٢٠١٧، وقف مرة أخرى على تلة الاستفتاء الكردي وهتف: «إنها حرب قومية غير مكتملة»، ونكاد نلمحه اليوم وهو يقف على تلة حريق مخازن الأصوات عازماً على القول: «إنها حرب شيعية- شيعية غير مكتملة».

وفيما أننا لا نعرف حقاً متى تكتمل دائرة حروبنا المغلقة بعد أن استنزفت دماء العراقيين ونفطهم ومياههم ومستقبل أجيال متتابعة منهم، فإننا نعرف عن يقين أن القوى السياسية العراقية ما زالت عاجزة ومتقزمة أمام الخارج، وأنها لا تقوى بل لا تريد تحمل مسؤولية إنتاج قرار عراقي خالص يحمي البلاد من التلاعب والمغامرات والحرائق الجديدة.

ولنضع الأمور في نصابها، فإن طريقة تشكيل الحكومة التي ستنتج من انتخابات العام ٢٠١٨ هي مبرر حريق الرصافة لا التزوير، وأن رسالة الحريق، قد تكون أقل الرسائل دموية، لكنها تضع في السياق مسار الصراع الإقليمي خلال الأعوام المقبلة، وتهدد بحرائق أكبر.

لم يقل أحد: إن التمسك بحكومة مستقلة تقودها الكفاءات، تنتج قراراً عراقياً، وتدير لعبة التوازنات الإقليمية والدولية بحرفية ووعي للمصالح الوطنية، لن يكون بلا تضحيات، وبلا تحديات، ولم يفترض أحد أن المضي إلى تجاوز المحاصصة الحزبية، وقسمة أمراء الطوائف، ستكون مهمة بلا عوائق وتهديدات، لكن «داعش» كان حريقاً بفاعل إقليمي ودولي أيضاً، ومع هذا خرج العراقيون من حفرتهم يطالبون بالمدنية والحريات والقرار الوطني والانفتاح على الخارج، متجاوزين بذلك أكثر كوابيسهم رعباً.

الفاعل يخطئ في حساباته دائماً، فليس ثمة جريمة كاملة على صعيد مصير الشعوب، وربما أغرته المكاسب التي حصل عليها خلال سنوات التيه التي سقط فيها العراق، متناسياً الخسائر الإستراتيجية التي ألمت به، ولأنه أخطأ مراراً، فهو يخطئ هذه المرة أيضاً، عندما يعتقد أن حكومة بمقاييسه يمكن أن ترى النور، أو أن تعيش لفترة طويلة أمام الإرادة الشعبية.

لا يريد الفاعل أن يتعب نفسه ليكتشف أجيالاً عراقية تنمو وتزدهر محملة بروح وطنية متجددة، وكراهية لكل ما تورطت به الأجيال التي سبقت، فهو ما زال مؤمناً أن إدارة العراق ستتم بطريقة واحدة، وأن مزاج الشعب يمكن التلاعب عليه بتبديل الوجوه أو تحوير الشعارات أو حتى التهديد بالحرائق.

لا يفهم الفاعل أن نادي السياسيين الفاسدين المرتجفين أمام نياشينه لم يعد بإمكانه المقاومة طويلاً، وأن جيلاً صاعداً قد أدرك جيداً وسط تجارب مريرة وخداع طويل وتشويش مستمر على كل صوت وطني، أن المستقبل الوحيد المتاح هو التمسك بالدولة والدفاع عن وجودها وتقوية أسسها، ومنع انحلالها في أحضان الآخرين.

الحكومة التي ستنتج مستسلمة للتهديد بإحراق العراق من جديد لن تكون سوى رقم تكميلي لما سبقها، ضعيفة ومهزوزة ومرتبكة، أمام مسار شعبي واضح ومتصاعد يفرض نفسه باطّراد ويكتسب المصداقية والحضور، مطالباً بإيقاف مهرجان الفشل والعجز والتردي.

ليس الغضب الشعبي بلا أخطاء وأخطار، بل إن المشكلة هي أخطار هذا الغضب، لو تغاضى الفاعل عنه، واستهتر بجديته، أو حاول الاستثمار فيه. تلك لعبة أكثر خطورة من سواها، وحريق أشد رعباً من غيره، ومساحته لن تكتفي بحدود أرض الرافدين بل تتعداها.

أن تكون مهمة العراقيين أن يقنعوا الآخرين بخطورة العبث بحرائقهم، تلك مهمة شديدة الصعوبة، خصوصاً عندما يدفع الغرور ووهم كلية القدرة الآخر إلى بناء نظريات بدائية عن تعريف القوة والضعف، فيقرر أن يتحدى إرادة شعب.

عن "الحياة" اللندنية.

حرب الجيل الخامس

بقلم: عاطف الغمري

منذ أول التسعينيات ظهر ما سمي حرب الجيل الرابع بديلًا عن الحروب التقليدية، التي عرفها تاريخ العالم في صورة قتال مسلح بين الجيوش، إلى أن ظهر مؤخراً مصطلح حرب الجيل الخامس. فما هو؟.. وهل توجد اختلافات بين الاثنين؟

المفهوم السابق لحرب الجيل الرابع. أو الحروب في صورتها الحديثة، وفي إطار عصر ثورة المعلومات، أنشأه فريق أمريكي متخصص برئاسة ويليام ليند، بهدف إدخال تغييرات أساسية على الصورة المألوفة للحروب، ومستفيداً من تكنولوجيا المعلومات. استمر هذا المفهوم حتى العام ٢٠١٠، إلى أن بدأ المفكرون العسكريون في صياغة مصطلح حرب الجيل الخامس، وإدماج الاثنين في بعضهما.

وفي الفترة الأخيرة أعلن ويليام ليند شرحاً لهذا المفهوم، وقال بالرغم من أن حرب الجيل الرابع تعتبر جديدة نسبياً، عند ظهور فكرتها، العام ١٩٨٩، فإن هناك مفكرين طرحوا بعدها فكرة حرب الجيل الخامس، كنتاج للتكنولوجيا الحديثة، وهي في حقيقتها ليست خارج إطار حرب الجيل الرابع، والتي قامت على أربعة محاور، من أبرزها الحرب النفسية، التي تهدف إلى تدهور الروح المعنوية للدولة العدو، وإحداث انهيار في داخلها.

إن المبدأ الجديد لحرب الجيل الخامس، قد جاء نتيجة مشاركة من أطراف مهتمة بموضوع الأمن القومي، وتضم دبلوماسيين وعسكريين، ومسؤولي تنفيذ القانون، وضباط مخابرات وخبراء الانترنت، والتواصل الاجتماعي، يعاونهم علماء النفس، وعلماء الاجتماع، والأكاديميون المختصون بعلم السياسة، واتفقت تقديراتهم على أن حرب القرن الواحد والعشرين، ومن بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، تتطلب نظرة مختلفة عما كان يحدث في حروب الماضي. ثم جاء مبدأ حرب الجيل الخامس نتاجاً لدراسات أجرتها هذه المجموعات، في إطار ما سمي المعهد التعليمي لحروب الجيل الخامس، يشارك فيه خبراء من جميع الجهات المشار إليها سابقاً.

يتحدث الكاتب الأمريكي جون روب في مؤلفه عن حرب الجيل الخامس بأن جنودها عبارة عن أفراد لا يرتدون الزي العسكري. وأنها حرب أفكار، وأنها تطلق دوامة من العنف، وتدار بأسلوب التدمير الفجائي لقوى الخصم معنوياً ونفسياً، بإطلاق عملية من شأنها إشاعة الإحباط لدى الخصم. وأن ميدانها هو الفضاء الالكتروني، وشبكات النت، لنشر مشاعر الخوف، وفقدان الثقة بالنفس لدى المجتمع، وأيضا تجاه قادته السياسيين.

وتكمل دراسة للمعهد الأسترالي للسياسات الاستراتيجية ASPi هذا المسار بالقول إن حرب الجيل الخامس عبارة عن تطور يركز على نشر أفكار مقصودة، ويركز على أربع وسائل رئيسية هي:

- استغلال شبكات التواصل عبر الإنترنت، بإطلاق معلومات مجهزة والترويج لها.
- العمل على خلق مجال تواصل افتراضي يسمح لمستخدمي هذه الشبكات، بإضافة معلومات من جانبهم حتى يكتمل التأثير العام.
- إيجاد شبكة متقاربة مع بعضها من المتابعين لهذه العملية.
- التصدي لكل من يظهر كمعارض لهذه العملية، والسيطرة على أي تدفق معلومات مضادة.

وإذا كانت الحروب القديمة لها ميادين على الأرض، وفي البحار، وفي الجو، فإن حرب الجيل الخامس - كامتداد لحرب الجيل الرابع - ميدانها الفضاء الالكتروني.

إن خطورة الميدان الذي تدار فيه الحرب في صورتها الحديثة، وبقيادة من خبراء متخصصين، متعددي المهارات والمعارف، والخبرات، على المستويات العسكرية والمدنية، إنها صارت قادرة على النفاذ إلى وسائل التواصل الاجتماعي باحترافية عالية، وزرع أفكار تستهوي البعض ممن يستخدمون هذه الوسائل، والذين يتأثرون بخطابها معهم، وكثيرون منهم يعتبرونها مصدراً معتبراً للمعلومات، والأشد خطورة هو إمكان دفعهم ليس فقط لتبني أفكار يتم الدفع بها إليهم، بل أكثر من ذلك القدرة على تشكيل عقولهم، بدفعهم إلى أن يتحولوا إلى جبهة داخلية في بلادهم تكون معارضة للدولة، ليس بسبب أفكار نابعة من ذواتهم، بل نتيجة السطو على عقولهم من قوى خارجية، عملها الأساسي هو إعلان حرب على دولهم، لا تتخذ شكل القتال المسلح، بل تقوم على استهداف العقول والأفكار.

عن "الخليج"